مراجعة كتاب

تل السعيدية : التنقيبات في التل ١٩٦٤ ـ ١٩٦٦

بقلم : جيمس ب. بريتشارد

منشورات متحف جامعة بنسلفانيا، العدد رقم ٦٠

فيلادلفيا، ١٩٨٥ (باللغة الانجليزية).

يقع تل السعيدية الذي يتألف من هضبتين متلاصقتين تسمى احداهما تل السعيدية الشرقي والثانية تل السعيدية الغربي على بعد نحو كيلو مترين جنوبي وادي كفرنجة في الأغوار الوسطى، وهو أكبر وأبرز المواقع الأثرية في وادي الأردن اذ يرتفع ٤٢ متراً فوق مستوى أرض الغور وتبلغ مساحته نحو ٧٥ دونماً أو ما يعادل ٢٥ هكتاراً.

وأول من قام بمسح أثري شامل في هذا التل هو العالم الأثري التوراتي نيلسون جلوك وذلك عام ١٩٣٩، وقد نشر نتائج دراسته للكسر الفخارية التي التقطها من على سطح التل في حولية المدارس الأميركية للأبحاث الشرقية ـ ايسور ـ العدد رقم ٢٥ ـ ٢٨ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٥ وبين ان تاريخ الفخار على قمة الهضبة يعود الى عصري الحديد الأول والثاني وان عدداً قليلا من الكسر الفخارية يعود بتاريخه الى العصر البرونزي المبكر في المرحلتين الأولى والثانية منه والى العصر البرونزي الوسيط في مرحلتيه الأولى والثانية وكذلك بعض الكسر من العصر البرونزي الأخير في مرحلته الثانية، هذا بالإضافة الى كسر فخارية رومانية وبيزنطية. كما يقول جلوك في نفس التقرير المشار اليه انه اكتشف كسراً فخارية في أسفل الهضبة الغربية من التل من العصر النحاسي ـ الحجري (كالكوليثك) وان هذه الفخاريات مزينة بخطوط محفورة وبألوان حمراء ضاربة الى البني بالتناوب وبشكل متماوج على هيئة هيكل عظمي لسمكة السردين او «شيفرون».

وفي عام ١٩٥٣ اجرى العالم الفرنسي هنري دي كنتنسون عدداً من التجارب الميدانية على هيئة مجسات او حفريات محدوده داخل خنادق في تل السعيدية «التحتا» اي في أرض منخفضة غربي تل السعيدية الغربي ونشر نتائج هذه التنقيبات فى حولية دائرة الآثار الأردنية ـ أداج ـ الأجزاء ٤ ـ ٥ ص ٤٩ ـ ٥٧، شكل ٣٢ ـ ٣٦. وقد عثر في احد الخنادق على فخاريات وأدوات صوانية من العصر النحاسي ـ الحجري الوسيط او من العصر ذاته في مرحلته الأخيرة مع وجود صفات الثقافة الغسولية في هذه الفخاريات والأدوات الصوانية (راجع حولية دائرة الآثار الأردنية الأجزاء ٨ ـ ٩، ص ٣٧).

ونتيجة للمسح الأثري الشامل لوادي الأردن والذي قام به العلماء معاوية ابراهيم وجيمس ساور وخير ياسين نيابة عن دائرة الآثار الأردنية والجامعة الأردنية والمركز الأثري الأميركي وذلك عام ١٩٧٥، تبين ان الكسر الفخارية من تل السعيدية ترجع بتاريخها للفترات: المرحلة الأولى والثانية والثالثة من العصر البرونزي المبكر وللفترة الثانية من العصر البرونزي الوسيط وللعصر البرونزي الأخير، ثم عصر الحديد الأول والثاني ولأوائل العصر الروماني وثم البيزنطي. (راجع نشرة المدارس الأميركية للأبحاث الشرقية ـ بيسور العدد ٢٢٢ ص ٤١ ـ ٦٦).

وحفريات جامعة بنسلفانيا في تل السعيدية التي أشرف على ادارتها ودراسة نتائجها البروفيسور جيمس بريتشارد خلال السنوات ١٩٦٤ ـ ١٩٦٦، هي أول حفريات أثرية منظمة وشاملة في هذا الموقع. ويشتمل الكتاب موضوع هذه المراجعة على التقرير النهائي للنتائج العلمية التي تمكن العلماء من الحصول عليها خلال عملهم في الموقع. وقد سبق ان نشر البروفيسور بريتشارد التقرير النهائي عن اكتشافاته في **مقبرة تل السعيدية في العدد رقم ٤١ من منشورات** متحف جامعة بنسلفانيا عام ١٩٨٠ (راجع حولية دائرة الآثار الأردنية الجزء ٢٤، ١٩٨٠ ص

٢١٣). وقد تبين ان تاريخ هذه المقبرة الكبيرة يعود للعصر البرونزي الأخير ولعصر الحديد الأول وعثر في القبور على كميات من الفخار والأدوات ومختلف الأوابد الهامة جداً بالنسبة لدراسة هذه المرحلة الانتقالية التي لا نجد لها آثار في معظم المواقع القديمة غربي نهر الأردن.

أما التقرير النهائي الذي يحتوي على نتائج الحفريات في تل السعيدية والذي يؤلف موضوع الكتاب فانه يصف آثار المباني والمنشآت التي اكتشفت في أعلى الهضبة الشرقية من الموقع والأوابد والعاديات بداخلها والتي تعود بتاريخها للعصور الهلينستيه والفارسية. ويشير التقرير الى ان أبرز هذه المنشآت هو ذلك البناء المربع الكبير في الطبقة الثالثة من التل. ويعتقد البروفيسور بريتشارد ان الهدف من هذا البناء هو تحصين الموقع والدفاع عنه خلال الفترة الفارسية. وعثر ايضا على درج حجري كبير في السفح الشمالي من التل ينحدر الى أسفل الهضبة وينتهي عند نبع الماء الذي كان يستقي منه سكان المدينة في تل السعيدية.

واشتملت المكتشفات الهامة بالإضافة الى ما سبق ذكره على بقايا مساكن شيدت بإتقان كبير وحوانيت منتشرة ضمن مخطط دقيق على جوانب طرقات وأزقة منظمة أحسن تنظيم ويعود تاريخها الى أواخر العصر الحديدي في القرن السابع قبل الميلاد.

وأما بالنسبة لمحاولات بعض العلماء التوراتيين الصاق اسم توراتي بموقع تل السعيدية (راجع حولية الدائرة الجزء ٢٤، ١٩٨٠، ص ٢١٣) فيقرر البروفيسور جيمس بريتشارد انه لم يكتشف خلال حفرياته ودراسته لهذا التل أي دليل على صحة هذا الإدعاء.

عدنان الحديدي